

## غزل العقاد

في الايام الاخيرة من شهر رمضان الفارط ألقى الاديب النابغ سيدي أحمد أب حنين بقاعة المحاضرات بالمدرسة الثانوية الادريسية محاضرة حول غزل العقاد الشاعر المصري المشهور قالت استحساناً عظيماً من جمهور الادباء، ونحن مغتبطون اليوم بنشر هاته المحاضرة، ونتنزه الفرصة لسندي للمحاضر أجل تشكراتنا على ما يبذله من جهد في خدمة الادب العربي كما أننا نهني جمعية قدماء المدرسة الثانوية على ما تقوم به من تشجيع الادباء وحفز همهم:

أيها السادة! في هذا المعهد العزيز قضيت مع رفقاءي النبهاء برهة من الزمان ونحن في زهرة الحياة وربيع العمر تلقينا فيها من أساتذتنا الكرام دروساً قيمة في الآداب العربية، في ذمة الله ذكرى تلك الايام العذبة القصيرة التي لا زالت عذوبتها في القلب وشذاها في الخاطر، تلك الايام التي نحن اليها ونود - لو تغني الودادة - أن يرجع العمر بنا أدراجه حتى نحيها مرة ثانية ونتمتع في مستقبل الحياة بما لقينا فيها من غضارة العيش وبشاشة الامل.

في تلك اللحظة التي أغمض الدهر فيها جفنه طفقنا نعرف الشعر العربي وشرعنا نفهمه ونحبه. إلا أننا كنا أشد شغفاً بالشعر الاموي وبالاخص شعر الغزلين الذين نشأوا في بادية الحجاز أو حاضرتهم مثل قيس بن الملوح وقيس بن ذريح وجميل وكثير وعمر بن أبي ربيعة والعرجي ومن على شاكلتهم، كنا نعجب بهم جميعاً على اختلاف طرقيهم في الغزل لانهم كانت تجمعهم وحدة التنويه بالجمال والتغني بالحب وتربطهم رابطة صدق اللهجة وتوقد العاطفة وبساطة التأدية.

ولا بدع ان نحن أقبلنا على شعر الغزلين فكل منا يعلم علم اليقين ما للحب من السيطرة على قلوبنا والنفوذ

والحرب ولقد كان ولا زال لها ذلك المقام اذهي باب الصحراء والسوادين ومنها تصدر اليها نتائج الحضارة المغربية والاوربية الحديثة يدخلها في كل شهر مئات آلاف من السواح والزائرين ومريدي البيع والشراء من أقصى سوس، الى أقصى حدود المغرب كل لقصد من المقاصد فهي رائجة الصنائع والتجارات تصرف فيها الملايين العديدة في كل يوم ولو علم بعددها صاحبنا الذي كتب عنها عجالاته<sup>(1)</sup> لما قال في حقها: انها «من الصعب أن يطلق عليها حتى لفظ مدينة» أو هي كما قال: «إلا قرية ضخمة ممتدة في بسيط احمر من الارض...» بل هي المدينة والالف واللام للكمال بل هي مدينة ذات روح اذ من المدن من لا روح لها وأعني بروح المدن ماضيها التاريخي وذكرياتها التي تتسابق الى فكرك كلما زرتها وأقمت بها وحتت عليك أفنان بسايتها وتقيئت من وريف ظلالها.

وما أكثر ما يصيب الناس في إطلاقهم بعض الاقارب على المدن والقرى، من ذلك إطلاقهم «البهجة» على مراكش اذهي حقاً بهجة النفس ومغنى الانس كما قال والد صديقنا عبد الكريم سكيرج في أبيات من رحلة الى الجنوب:

مراكش الحمراء وما أدراك ما \* مراكش ذات البهي الفتان  
هي بهجة الدنيا بمغربنا الذي \* ينمى لها في سائر الاوطان  
تتجلى في مراكش الحضارة المغربية في أجلى مظاهرها  
سواء في مبانيها أو تقاليد اهلها وعوائدهم، ناسها أنس  
وأهلها أهل يغنون عن الامل عرفوا بلطف النكتة وحلاوة الحديث والمجاملة في المعاملة وكرم الاخلاق.

عبد الكبير الفاسي

(1) مجلة المغرب: صحيفة 8 الجزء الخامس عدد ربيع الثاني 1355.

في نفوسنا في أي طور من اطوار حياتنا وهل بنا من حاجة الى التنبيه على أن الاطفال انفسهم اiban الرضاع في قبضته وتحت حكمه وهل معنى الحب المألوف سوى الرغبة في الاستيلاء والاستئثار ، فمن ذا الذي لم يشاهد هذه الرغبة في الاطفال مع ما تستلزمه من الفيرة الحادة عند ظهور المنافسة والرحام ولو على سبيل الدعابة والزاح .

أما الشيوخ فليسوا كذلك في حل من أمره ولا يقيم سهامه ذبول الشباب واستحالة الالهاب ، ومن المعلوم أن القلب لا يكبر بكبر السن بل يبقى أخضر يانعا ولو بلغ أقصى العمر ، ولو صح لنا أن نزيد على المثل السائر قلنا : السيف قد ينبو والجواد قد يخبو والشيخ قد يصبو .

عاطفة الحب مركوزة في جميع الطبائع فلذلك ترتاح النفوس لذكره وتطيب عند ما تسمع نجوى العاشقين وتسربل بما يقاسونه من ألم الوجد وتبريح الجوى .

وقد فطن الشعراء والحكماء والفنانون لهذه الخصلة الروحية فاستغلوها واتخذوها ذريعة الى جلب الناس اليهم ودفعهم الى الاقبال على ثمرات قرائحهم ، فما من رواية قصصية أو تمثيلية تنشر اليوم على صفحات الكتب أو تمثل في المسارح أو تعرض على مناظر السينما إلا ولحمتها الجمال ومحورها الغرام وان كان المقصود بالذات شيئا سواهما ، وليس الباعث على استعمالهما سوى قوتها على اسر اللب وتنبيه الخاطر واسترعاء النظر واعانتها على تقرير معان شتى في الذهن كالتفاف الحلو تغشى به حبة الدواء الذي تصعب اساغته ، ألم يفطن لذلك شعراء العرب في القديم فاستهلوا قصائد المديح بالنسيب لاستغلت سمع الممدوح والمحاضرين .

إذا علمت هذا علمت أهمية الجمال والحب في الحياة ومقامهما في الآداب والفنون وتبين لكم السر في اقبالنا

على شعر الغزلين من شعراء الحجاز في القرن الاول للهجرة لانهم في نظرنا بلغوا بالغزل العربي درجة عالية حاز فيها حظاً وافراً من الجودة والرواء .

كنا مقبلين على شعر هؤلاء بقدر ما كنا معرضين عما قاله شعراء القرون الاخيرة لما تورطوا فيه من الانحلال حتى صار الغزل عندهم عبارة عن وصل الالتقاط ببعضها واستعمال صيغ محفوظة لا تنطوي على معنى لطيف أو عاطفة قوية وتداولت بينهم القاب واصطلاحات وتشبيهات تواردت بكثرة على السمع حتى ملها وسئمها .

أصبح الغزل بذلك ضرباً من عبث الاطفال واصبحت لا نلتفت لغزل المتأخرين لأنهم متأخرون بل لأنهم وصلوا الى الدرجة السفلى من الاسفاف والسقوط ، فقد فقد شعرهم كل حياة ، وصارت القصائد والمقطعات كباقات الازهار المصنوعة من الاوراق المصبوغة التي ربما دلت على مهارة الصانع ولكن شتان ما بينها وبين الازهار الحية النامية في الحدائق ، المتبرجة في الوانها الطبيعية ، التي يترقق روتقها ويضوع شذاها فاذا الخيال يعم في الاسترسال واذا الروح يرفرف في جو السرور ، ونحن اذا قرأنا غزلاً نود ان نراه صادراً عن السليقة ونحب أن نجد فيه صدى العواطف التي تختلج في نفوسنا وتبقى مبهمة علينا حتى يعمد اليها الشاعر الملمم فيميزها من غيرها ويبرزها في قالب دقيق جميل حاز حظه من الصدق وحسن السبك . هذه كانت حالنا عند ما عثرنا على ديوان العقاد ففتحناه وقرأنا فيه :

انا الليل والسحر القدير أخو الدجا  
قدماً فمأهني ألت بساحر  
ألت نربنا حسن وجهك مفرداً  
على حين اشراق الوجوه السوافر  
ألت نربنا القفر جنات رحمة  
إذا شئت والجنات شبه المقابر

فما سحرأ اني لسحرك هيكلا  
 فزخرف بوشي السحر كز ذخاري  
 وما سحرأ ما السحر الا ابتسامة  
 تشب بها روحي وتطفي ناري  
 تبسم ألا يرضيك ان ابتسامة  
 بشغرك امضى من صروف المقادر  
 وان السموات العلى لا تنير لي  
 طريقاً، ولكن انت تهدي ضلالي  
 وان رياض الارض ليست تسرني  
 بشيء، ولمح منك بغم خاطري  
 وأن جميع الناس لا ينصرونني  
 وان جهدوا، لكن حبك ناصري  
 وانت الى هو الطفولة مرجعي  
 ولن يستطيع الدهر ارجاع غابري  
 فلا تبتعد عني فانك راجع  
 متى تبتعد عني بصفقة خاسر  
 ومن لك بالقلب الذي انت مبصر  
 به كل اعجاز لحسنك باهر  
 تراه عصيا - ان تأيت - على الرضى  
 ولا قلب ارضى منه ان كنت زائري  
 وفي الناس مطوي الضلوع على الشجا  
 ولا مثل شجوي بين باد وحاضر  
 اذا شاركوني في هواك فما لهم  
 سروري بما اصفيتهم وتباشري

فلم يكن طرب العطشان الهائم في الصحراء عند وجود  
 الماء البارد. باشد من طربنا حين أسعدنا الحظ. بالمشور على  
 هذا الشعر وجدنا إذ ذاك غزلاً مطبوعاً بطابع روح غريب  
 النزعة جديد الجهة يروع القلب لاول وهلة ويسحر النفس  
 على البديهة وكلما زدناه تأملاً ودرساً زادنا إفادة وإعجاباً.  
 من مزايا هذا الغزل وخصائصه الصدق، يصف  
 العقاد ما يحول في خاطره من غير افراط ويفضي الى القاري  
 بكل ما يختلج في قلبه من غير زيادة ولا نقصان فصدقه  
 يبدو لنا في مظهرين القصد والامانة.

لا نجد في شعر العقاد أدنى ميل الى الاسراف فاذا تكلم  
 على الحب وما يهيج من عطف وشوق وحسرة وعذاب  
 وبغض جنح الى الاعتدال في الاداء، وتجنب الاسراف  
 والتقصير، فلا نجد في غزله مثلاً انه انخله الحب حتى خفي  
 أو كاد يخفى عن العيان أو أنه غرق في بحار دموعه أو سال  
 دمه من مثاقبه أو غير ذلك من الخزعبلات مما يستحيل في  
 الطبيعة البشرية، فاذا كان عنده موجب للبكاء وهل  
 موجب البكاء سوى أن يعطف المرء على نفسه انهملت  
 دموعه، فاذا اخبر عن ذلك قال في بساطة واقتصاد:  
 ولما تقضى الليل الا أقله

وحان التناهي جشت بالدمع باكياً  
 وفي بعض الاحيان ربما بلغت به الانفة من الدموع الى أن  
 يساوره الندم عقب البكاء فيلوم نفسه ويقبل على حبيبه  
 يحتقره ويسهل امره وينقص من قدره فلا يهدأ بآله حتى  
 يرسل بسهم غمس في سم السخرية والاستهزاء آخذاً بالثار  
 وجباً للانتقام فيقول مثلاً:

غفر الذنب من بكاءي عليك اني لا أعود ما عشت أبكي  
 لا يساوي وقد تعلمت منك نسل حوائك دمة شك  
 خير ما في النساء ساعة ضحك

وكم من مرة يحتجر الدمع في عيني الشاعر ويذهب  
 الالم والالتهاب الى أقصى مداها وتبقى القصة معترضة  
 كالشجا في الحلق ويود أن ينهمر الدمع وتسيل العبرات  
 لتخفف شيئاً من شدة الحريق، ولا تفوت العقاد هذه  
 الحال حتى يصفها وصفاً دقيقاً فيقول:

يا غزير الدموع! أين الدموع؟ كم تريد البكا وما تستطيع  
 كيف سلوكك والفؤاد بما يسليه في فاجعته مفعوج  
 لطف نفسي عليك يا قلب. يا فيك الا الكمون داء وجيع  
 عبرات، براء الجوى لو اريقت وسمام حتى تراق نقيع  
 كنت فيك لا تفيض ولا تبرد فالصدر من شجاها صديق  
 نضب الدمع أم مجاريه سدت أم فؤادي ناموره مقطوع

## نظرة في المصطلحات العسكرية العربية الحديثة

ألف مجمع اللغة العربية الملكي بمصر في اجتماعه الأخير لجنة لوضع كلمات عربية للمصطلحات العسكرية المستعملة في الجيش، وهياته المناسبة ننشر هنا بحثاً في الموضوع للعلامة الأستاذ الاب انتاس الكرملى عضو اللجنة نقلاً عن جريدة البشير البيروتية، وبحث الاب انتاس الكرملى يؤيد ما كنا لا حظناه في عدد من سالفين بشأن علاقات المجمع المصري بأفريقية الشمالية مما هو مبسوط في محله:

كان العرب في صدر الاسلام وقبيله، يستعملون لجندهم ألفاظاً عربية خاصة بهم، وأكثر هذه الالفاظ تداولاً على اللسان: الامير، والقائد، والرئيس، والنقيب، والعريف. ثم تنوسيت، حينما قبض الترك على الصولجان، في جميع الديار التي كانت بأيدي بني العرب. فدخلت الاوضاع التركية في الكلام، وتمكنت من النفوس ولم يبق منها في الاستعمال شيء يذكر.

ولما استرجع العرب ربوعهم القديمة، وانزعوها من أيدي منائهم انتزاعاً أخذوا يستعيدون اسلافهم شيئاً بعد شيء، وأول ما كان ذلك في المغرب الأقصى، فان احد اصدقائي، وهو الامير مصطفى بك ابراهيم ذي كورتين M. I. B. B. de Courten، كلف بأن يضع الفاظاً، لتنظيم جيوش تلك الديار، جيوش الشرطة لتقام على اسس قديمة، حديثة عصرية. فابدى في ذلك الوضع، وأدخل الفاظاً جمة للامرة، فرضي بها، بل سر بها اولو العقد والحل، وكانت في السابق مركبة، ومخلوطة بكلم فرنسية، وانكليزية وإيطالية وألمانية واسبانية، بموجب الرؤساء الذين أتى بهم لتعليم الاصول العسكرية لابناء المغرب الأقصى. وكان الصديق قد أنتم هذا العمل الناهك في سنة ١٩٠٥، ثم نشره في كتيب فرنسي في سنة ١٩٠٦، وطبعه في طنجة في المطبعة المغربية.

أما المصريون، فكانت لغتهم مزيجاً من الفاظ لغات مختلفة، لاسيما التركية والانكليزية. ثم لما أنشأ الامير فيصل دولته في الشام، اجتمع ادباء من سوريين وعراقيين ولبنانيين، فتواطؤوا على اوضاع

كلما رمت في الجوانح ماء هاج للنار بينهن سطوع من يذوق غصة الشراب فإني غصة غير أن تفيض الدموع انما الحزن ريش ما استقى الدمع واندى الاحزان حزن رضيع يحرق الجمر يابس الحطب الجزل وباني الحريق لدن مريع فيك يا حب كل هذا؟ فبعداً لك داء تزيقه ممنوع غمرات وخدعة وجهاد وسهاد وحسرة ودلوع فأين من هذا قول الذين غرقوا في بحار الدموع - لا أتقدم الله - أولع بعض الشعراء بالمبالغة وخيل اليهم أنهم كلما زادوا في المعنى وأسرفوا في الزيادة اكتسب شعرهم بذلك رونقاً وجالاً مثال ذلك قول ابراهيم ابن سهل في موشحه المشهور:

تركت اجفانه من رمقي اثر النمل على صم الصفا

فكما أن النمل لا يترك أثراً عند ما يدب على الحجرة الصماء كذلك أجفان محبوبه لم تبق بقية من رمقه، فهذا البيت وان كان جيداً من حيث الصياغة والتعبير لانه يؤدي بقوة ما قصد اليه الشاعر من انحاء روحه فهو غير جميل من حيث المعنى لبعده عن الواقع ولا ينبغي أن يخدمنا ظاهره الموه عن باطنه المشوه، وهذه المبالغة التي كثر طروقها عند بعض الشعراء ليس المقصود منها سوى تمكين الأثر في ذهن السامع أو القارئ بتفخيم المعنى المراد وتعظيم شأنه فيكون ذلك ادعى الى الانتباه والالتفات، إلا أن الناس امعنوا في الاغراب وجاوزوا القدر المأمود الى حد السخف، واغرقوا في المبالغة الى درجة الاستحالة ومجانسة الكذب وأصبح مثلاً عند ادباء القرون الأخيرة قولهم في الشعر: أكذبه اعذبه، أما ذوق القدماء في هذا فهو فيما نعلم أسمى وأشرف فاننا نرى المبرد يقول في كامله على ذكر الافراط ما نصه: واحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه، واحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره وساقه برصف قوي واختصار قريب.

(البقية على صفحة ١٣)